

الحراك السكاني واثره على التغيرات الاجتماعية بمدينة الأبيض بالسودان

Population movement and its impact on social changes in El Obeid city,

Sudan

أ.د/ عبد العزيز الأمين الشيخ أستاذ بقسم الجغرافيا كلية التربية جامعة كردفان - السودان	د/ أمير حسن عبد الله محمد أستاذ مساعد بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية- السودان Ah184012@gmail.com	د/ عائشة عبد الباقي الدسوقي أستاذ مساعد بقسم الجغرافيا كلية التربية جامعة كردفان - السودان
--	--	---

ملخص: تناول البحث الحراك السكاني واثره على التغيرات الاجتماعية بمدينة الأبيض. وهدف البحث إلى التعرف على سمات النزوح الحضري واثره على الهوية بمدينة الأبيض. استخدم الباحثين عدة مناهج تناسب طبيعة الدراسة، تتمثل في المنهج الوصفي لوصف الظواهر الطبيعية والبشرية، وكذلك المنهج الإحصائي التحليلي لجمع وترتيب وتحليل وتفسير البيانات. وقد توصل البحث لعدد من النتائج أهمها: معظم الوافدين الى مدينة الأبيض هم من فئة الذكور الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين (30 و 50) سنة حيث بلغت نسبتهم (69%). ان الغلبة الساحقة للوافدين هم متزوجون وهذا يتناسب مع المرحلة العمرية التي ينتمون لها وقد بلغت نسبتهم حوالي (67%) كما نلاحظ أيضا إرتفاع نسبة الارامل (17%) بسبب الحرب اما النسبة المتبقية فكانت لغير المتزوجين وقد وصلت الى (33%). لذلك توصل الباحثين لعدد من التوصيات أهمها: خلق روابط وعلاقات اجتماعية مع المجموعات النازحة مبنية على تقوية شعور الانتماء للمجال المدني وخلق فرص لمساهمة الجميع في صناعة مجالهم.

Abstract: The research dealt with population movement and its impact on social changes in El-Abyad city. The aim of this research was to identify the characteristics of urban displacement and its impact on identity in El-Abyad city. The research has reached a number of results, the most important of which are: Most of the arrivals to Al-Abyad city are young males between the ages of (30 and 50) years (69%). The vast majority of expatriates are married and this is proportional to the age they belong to. The percentage of widows (17%) due to the war, while the remaining percentage was for unmarried (33%). Therefore, the researchers reached a number of recommendations, the most important of which are: Creating social ties and relations with the displaced groups based on strengthening A sense of belonging to the urban sphere and creating opportunities for everyone to contribute to their industry

1- مقدمة:

لم تجد ظاهرة النزوح إلى المستقرات الحضرية العناية من قبل المهتمين او تعثر لها على موقع ضمن الأدبيات النظرية للهجرة القسرية إلا في السنوات الأخيرة، بحيث يمكن اعتبار السياسة التي أعلنتها المفوضية السامية لشئون اللاجئين في العام 2009م تحولاً عن "الما قبل" الذي اقتصرته خلاله القدرة التنبيهية للدال " نزوح " على احتياجات الحماية والمساعدة الخاصة بنازحي المخيمات .بقى النازحون الحضريون قبل ذلك التاريخ . خصوصاً في حالات النزوح المطول . رغم ما يعانونه من تعقيدات اقتصادية وسوسيوثقافية في منطقة الظل من اهتمامات الوكالات الإنسانية والجهود البحثية على السواء . كانت السياسة الجديدة في 2009م قد اعلنت انه " لا تعد التزامات المفوضية ولا الدولة المضيفة تجاه اللاجئين والنازحين داخلياً مشروطة بإقامتهم في المخيمات ..وتهدف الى تشجيع والمساهمة في التطور التدريجي للأطر القانونية والسياسية بما يدمج اللاجئين وغيرهم من الأشخاص المعنيين في النسيج الاجتماعي للمدن بطريقة مناسبة تحترم الحقوق.(غوتيرس ، 2010، ص).

بالنسبة للنازحين إلى النطاقات الحضرية من الأرياف كما في حالة الورقة فان المدينة هي النقيض لأنماط حياتهم السابقة، تزداد الفجوة بينهم والمدينة بسبب من حالة الحنين النوستالجي والتصورات المخيالية لمناطقهم الأصلية. يعيد من يمرون بتجربة النزوح اجمالاً تركيب صورة مناطقهم الأصل على ضوء معاناتهم الراهنة بحيث تستعاد تلك المناطق كفردوس مفقود . المأزق الذي تطرحه ظاهرة النزوح الحضري ويغيب في حالة النزوح إلى المخيمات هو أن محاولات النازحون للتكيف مع البيئة الحضرية وتجاوز أوضاعهم السوسيواقتصادية المعقدة قد يضعهم في منافسة مع القطاعات الأخرى المحرومة في المجتمعات المضيفة، فينظر إليهم كعمالة رخيصة يمكنها مزاحمة الآخرين في سوق العمل، و كعائق أمام التنمية الحضرية بتشكيلهم إجهاد إضافي للبنى الأساسية كإمدادات المياه الكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية وكذلك على المساكن و الأراضي في مدن مرهقة اصلاً .إذا كانت حالات التدخل نازحي المخيمات لا تثير حساسيات مباشرة فان السعي لمعالجة أوضاع نازحي المدن وحدهم . بافتراض إمكانية حصرهم والوصول إليهم وهو ما يمكن التشكيك في فرص انجازه بنجاحة . يمكن أن يقود إلى مزيد من السخط إزاء النازحين بما يؤدي إلى مزيد من التمييز تجاههم .

منذ العام 2003م كانت الحرب الأهلية في دارفور وجبال النوبة والنيل الأزرق قد خلفت واحداً من اكبر تجمعات النازحين على مستوى العالم .قدر عددهم في العام 2016م بـ 3.300.000 شخص .قسم كبير من هؤلاء سيختارون النزوح باتجاه المدن لتنتهي بهم رحلة النزوح في العاصمة السودانية الخرطوم كما في مدن سودانية أخرى .واحدة من تلك المدن الأكثر جذباً للنازحين كانت هي مدينة " الأبيض " ، حيث

ساهم في تشكيل نمط الزواج إليها مزيج من النزاعات والجفاف والمجاعات التي أصابت مناطق غرب السودان. وإذا كانت مسألة الزواج في السودان قد شكلت موضوعاً للعديد من الدراسات التي تباينت نقاط انطلاقها وهمومها البحثية، فإن هذه الدراسة تهدف تحديداً إلى محاولة التعرف على الشروط التي يعيد خلالها النازحون بناء هوياتهم ، كما بالكيفيات التي يعيدون عبرها تشكيل جماعاتهم المتخيلة. إذا شئنا استخدام تعبيرات.(اندرسون، 2014م، ص). وفي سياق مدينة الأبيض، وهو السياق الذي يعرض مجموعات ذات انتماءات اثنوثقافية مختلفة تتجاوز ضمن حيز عمراني واحد، وهو ما يمكن من ملاحظة التشكل /إعادة التشكل التي تختبرها المدينة كمجال اجتماعي وكمجال عمري. إذا كانت بعض الدراسات قد اشتغلت على سؤال التأثيرات التي يحدثها الزواج أو الهجرة بشكلها الأعم على المجال المدني والممارسات الحضرية فإن ما توجه الورقة اعتناؤها إزاءه هو تأثيرات المجال على النازحين وبعبارة أكثر دقة تأثيراته على تمثلاتهم لذواتهم الفردية والجمعية .

2- مشكلة الدراسة :

بدأت مدينة الأبيض في استقبال موجات النزوح منذ ثمانينات القرن الماضي بحيث يمكن معلمة النزوح بثلاث موجات رئيسية، موجة منتصف الثمانينات التي فرضتها كارثة الجفاف والتصحر ثم الموجة الثانية بسبب النزاع في دارفور القريبة نسبياً بدءاً بالعام 2003م والثالثة التي أنتجها تجدد النزاع في جبال النوبة /جنوب كردفان المجاورة منذ العام . 2007م بدأت أحياء النازحين تطفو على سطح المدينة في شكل تجمعات من المساكن غير المرخصة ثم دخلت تدريجياً في الأنسجة العمرانية للمدينة لتنتهي بحدوث ذلك الالتحام الحضري فترات الانعزال المجالي النسبي لتلك الأحياء. إذا كانت طلائع النازحين ستختار التوطن في هذه المناطق بسبب ما توفره من عزلة فإن كثير من النازحين الذين سيفدون إلى المدينة متأخرين سيختارون التوطن ضمن هذه التجمعات علي الأحياء بسبب وجود نازحين من مناطقهم الأصلية أو مجموعتهم الإثنية واللغوية، وهو ما تنظر إليه الدراسة كإستراتيجية تكيف مع السياق الحضري، فالنازحين القادمين دون مؤهلات مهنية تؤهلهم للانخراط في شبكة الوظائف والمهن التي توفرها المدينة ودون حتى اللغة اللازمة للتواصل وجدوا في الاستقرار ضمن تلك الأحياء خياراً لا يساعد فقط في التأقلم اللوجستي كتأمين المأوى، إنما يمثل موقعاً للانتماء يمكن النازح من تجاوز عزلته الفردية ضمن مدينة لم تبدو مرحبةً به، ويمكنه من تجاوز العديد من العوائق التي يمكن حتى للون بشرته أن يكون من بينها .

ينتج هذا التمرکز المجالي حالة من التنميط الهوياتي الذاتي ترافق مع تنميط هوياتي للآخر، ويتخيل سكان كل حي إن ثمة هوية طبيعية خاصة بهم، وتستغرق المجالات المنفصلة اجتماعياً رغم اتصالها

العمراني في إعادة إنتاج هويات اجتماعية متقابلة، ليس ثمة حدود هنا بالمعنى الفيزيائي لكن الحدود بمعناها الإثنو اجتماعي حاضرة لتنتهي بالمدينة إلى غيتوهات /معازل بالمعنى الجغرافي والتنميطي. ومشكلة الورقة تتمثل في تقاطع عدة أسئلة تلتقي جميعها حول التمثلات الهويةانية وكيفية تمفصلها مع مجال الإقامة، تتساءل الورقة كيف أسس النازحون لعلاقتهم بالمدينة كمجال عمراني واجتماعي؟ كيف أعاد الأخير إنشاء الحدود بين الجماعات؟ ضمن أية ملابسات يجتاح الوعي الإثني الأنسجة الحضرية مزوداً الأفراد بألية حاسمة للإقصاء والإدماج؟ ما هي الميكانيزمات التي أعادت عبرها المجموعات النازحة تكيف هياكلها الاجتماعية والأسرية بحيث تتلاءم مع سياق جديد ومغاير وجدوا أنفسهم مضطرون للتحول إليه؟ لماذا تبدو مجموعات نازحي ما بعد 2003م أكثر وعياً باثنيتهما من مجموعات نازحي الجفاف في الثمانينات؟ هل تدعم سياسات المدينة بتكديسها لهؤلاء في أحياء علي عشوائيات طرفية ومتجانسة اثنيّاً هذا الخيار؟ لماذا تبدو المدينة وكأنها قد تشظت إلى جماعات متجاوزة لكنها ليست متألّفة وقد شرعت جميعها في عملية إعادة اصطفاف ثقافي يؤكد من خلاله الجميع على تمايزهم عن الجميع؟ هذه الأسئلة تصل في مجملها إلى تساؤل مركزي يتعلق بالهويات الاجتماعية في مدينة الأبيض كمستقر حضري وطرق تمثل إعادة تلك الهويات.

3 – فرضية الدراسة :

تؤسس الدراسة لفرضيتها على مكونين رئيسيين إحداهما فكرة أولية هي أن المجالات العمرانية لا يمكنها أن تكون محايدة وان إي مجال عمراني هو حقل رهانات واستراتيجيات مختلفة ومتعارضة وانه تعبير عن تمثلات سوسيوثقافية للمجموعات المهيمنة عليه، المكون الثاني الذي سيتحكم بافتراض الورقة الرئيسي كان هو جملة الملاحظات والاستنتاجات الميدانية التي سيجري الوقوف عليها أثناء الزيارات المتكررة إلى إحياء النازحين .

من التقاء المكونين صاغت الدراسة فرضيتها على النحو التالي : سياسات الهوية الإثنية لمجموعات النازحين لا تعبر عن رفضهم الاندماج في السياق الحضري بقدر ما تمثل إستراتيجية تكيف. الارتباطات الإثنية التي يبدو للوهلة الأولى أنها تتحرك بعكس تيار الحضرة الذي يفترض به إذابة. أو على الأقل التخفيف من. الروابط الأولية الإثنو ثقافية، تتم فصل. في افتراض الدراسة. مع سعي هؤلاء للتكيف مع شروط جديدة ومتطلبات مستجدة فرضها المجال الحضري ذاته. النزوح كتحويل إجباري عن مكان الإقامة هو انتقال من مجال مفتوح يضم مجموعة الـ"نحن" وحدها، إلى مجال فقدت فيه المطابقة بين المجموعة والمجال نجاعتها. يصبح الحي ضمن هذه السردية وليس المدينة هو المعادل للوطن الأصلي ليعاد تمثله كاحتواء كانغلاق على الـ"نحن" التي وجدت ذاتها ضمن سياق مختلف. إعادة تركيب الجماعة

ضمن حدود الحي يمثل محاولة لتجاوز ما يفرضه الزوج من معاناة في ظل أوضاع لا تعد بأي إمكانية لتحقيق ذلك بوسائل أخرى .

4 - الاجراءات المنهجية :

تم الإعتماد علي المنهج الوصفي لمناسبتة لموضوع الدراسة فمن خلاله تم وصف وتحليل سلوك النازحين ومواقفهم و تفاعلاتهم اليومية مع افراد المجتمع من خلال وصف وتحليل نوع الانشطة التي يمارسونها وتفاعلاتهم اليومية بالاضافة الى نوع العلاقات الاجتماعية التي ينشؤونها مع المجتمع المدروس ومدى عمقها ،بالاضافة لمعرفة مواقف النازحين تجاه ما يحدث داخل المجتمع من احداث محلية ومدى مشاركتهم فيها ايجابيا او سلبا اوحيادا كل هذا يكشف التمثلات التي تحكم تفاعل النازحين مع مجتمع المدينة. وتم الاعتماد علي المنهج الكمي التحليلي، هو أحد المناهج التي يستخدمها الباحثين في هذه الدراسة وذلك لأنه يعتمد على نتائج الدراسة الرياضية الكمية مما يجعل النتائج المتحصل عليها بهذه الطريقة نتائج علمية محددة بدلاً من أن تكون دراسة وصفية عامة، ويستفاد منه في الدراسة بمنطقة الدراسة لما يحققه من وصف واستنتاج وتحليل الاستخدام من خلال الأرقام والبيانات وبناء النماذج. وعن طريق الاستنتاج يسهل التعرف علي مميزات الزوج الحضري وما يتعلق بها من خلال معرفة خصائصها في مجتمع الدراسة ، كما يحقق هذا المنهج ما يعرف بقياس الأهمية، وذلك لمعرفة العلاقات بين مجموعتين من العينات أو الأرقام وهي العلاقات الخفية، المعنوية التي لا تعرف إلا من خلال تحليل هذه الأرقام واستخدام المنهج الكمي، كما تحقق من توقعات حدوث ظاهرة ما في المستقبل بناء علي تطورها في الماضي وحالتها الراهنة فيما يعرف بتحليل العمل الميداني ببرنامج (SPSS).

5 - أدوات جمع البيانات :

- طريقة المجموعة البؤرية :

تم الاعتماد على هذه الأداة التي تشكل طريقة واعية ومخططة وتتكون من عدد صغير من الافراد ذوي الاهتمامات المشتركة ،تمت دعوتهم للمشاركة في حلقة نقاشية منظمة عن موضوع الدراسة ،أجري خلالها مجموعة من التفاعلات البينية بين جميع الاعضاء المشاركين في المناقشة وقد ساعدت هذه الأداة في الكشف عن مؤشرات الهوية المستكشفة والمتمثلة في الانشطة الاقتصادية الممارسة من طرف النازحين ،نوع العلاقات الاجتماعية ومدى عمقها والمتمثلة في علاقات نسب، جوار، صداقة ، بالاضافة الى مشاركتهم في الحياة الاجتماعية.

اما الأداة الثانية فهي استمارة الإستبانة وأشتملت علي مجموعة من المحاور التي وجهت الي المبحوثين من اجل الاجابة عليها . وتحتوي الاستمارة على (28) سؤالاً متنوعاً بين مغلق ومفتوح حيث عالجت المحاور

التالية : البيانات الأساسية عن المبحوثين، العلاقات الاجتماعية، الممارسات والطقوس الاجتماعية . وقد حوي كل محور مجموعة من الاسئلة الفرعية يجيب عليها المبحوث حسب ما يقتضيه واقع البحث وذلك بغرض تكملة النقص في البيانات الثانوية وقد ساعدت هذه الاداة في تمحيص اجابات المبحوثين. مجتمع الدراسة وعينها : يُعرّف المجتمع الأصلي للبحث بأنه الجماعة التي يهتم بها الباحث ويريد أن يخلص بها إلى نتائج قابلة، إلى حد معين، للتعميم عليها. هذا المجتمع له خاصية تميزه من غيره من المجتمعات. وفي دراستنا هذه، يُشكل النازحين في حي السلام بمدينة الأبيض مجتمع الدراسة، وهو الحي الواقع في المنطقة الجنوبية الغربية للمدينة، حيث يضم هذا الحي العديد من العائلات النازحة من ولايات دارفور وجنوب كردفان وهم المنحدرين من مجموعات اثنية وثقافية مختلفة عن تلك المجموعات القاطنة في المدينة ، وينشط معظمهم في القطاع غير النظامي ومن فئات عمرية متباينة ، أما نوع العينة فقد تم الاعتماد على العينة العشوائية البسيطة نظراً لتجانس أفراد المجتمع وكان حجم العينة (100) أسرة بنسبة (1.5%) من مجموع مجتمع الدراسة البالغ 6500 أسرة.

6 – الإطار النظري للدراسة :

إذا كان انصار الهويات الطبيعية والحدود النهائية للجماعات يدافعون عن هويات مؤنمة. الاحالة الى اقنوم. تشكلت لمرة واحدة ونهائية، فإن المنظور الذي تتحرك الدراسة انطلاقاً منه لا يرى سوى عمليات تشكيل /إعادة تشكيل مستمرة للهويات الثقافية، يلحظ " امارتيا صن "في دراسته" الهوية والعنف ان " ليس بالضرورة ان يكون لكل الهويات أهمية ثابتة وباقية دائماً والحق انه أحياناً قد تكون لإحدى مجموعات الهوية وجود مراوغ جداً وطارئ للغاية ف"القبول غير المشروط بهوية اجتماعية قد لا يكون دائماً نتيجة مضامين تقليدية وإنما يمكن أن يتعلق أيضاً بإعادة توجيه راديكالية للهوية، إعادة توجيهه يمكن ترويجها عندئذ بزعم أن الهوية اكتشاف دون اختيار منطقي .(صن، 2008م، ص).الهوية وفق هذه القراءة ليست معطى قبلياً ناجزاً يحصل بمحض التأمل الذاتي أو بمحض الاستدكار والاسترجاع، إنها ثمرة جدلية نضعها في مقابل ما يخالفها أو قل نضعها في مقابل ما نعي انه يخالفها، فيحصل من وعيها بمخالفته نفسها وعميها بنفسها كماهية أو هوية مختلفة وهكذا لا يكون الآخر آخر لأن الأنا تراه كذلك " آخر "وإنما تكون الأنا" أنا "لأنها تعي نفسها كذلك . اي أنا . من خلال آخر ينمها إلى نفسها وإلى أنيتها.(بلقزي ، 2007، ص). عملية توكيد الهوية ليست فقط اظهراً وانعكاساً للتجانس الاجتماعي لمجموعة ما بل أيضا احدى الوسائل التي تحاول المجموعة عبرها ان تبني وحدتها وتبني حدوداً بينها وبين مجموعات اخرى.(السقا ، 2013م، ص).

قد تتغير الهويات كما قد يتغير المجتمع وهي في كل الأحوال ليست مطلقات أو ثوابت على نحو ما توحى به النظرية البدائية من وجود لهويات وحدود اثنية وجدت دائماً وستوجد أبداً. فمحيط الـ"نحن" يتوسع ويضيق وفقاً للطرف الذي تمر به الجماعة، الهوية بناء /إعادة بناء مستمرة لا يمكن توقيفها وان الحدود بين الجماعات يمكنها ان تكون طارئة ومستحدثة رغم زعمها الإستمرارية (أريكسون، 2012م، ص). بول براس "كان قد شدد على الطبيعة الأدواتية للاثنية، ووفقاً للأطروحة التي يتقدم بها فان الارتباطات الإثنية تخضع باستمرار لعملية إعادة تحديد وتعريف وتشديد استجابة للظروف ومخططات النخب (اوزكيريمللي، 2013م، ص). الاثنية وفقاً لهذا التصور ليست شيئاً أو علامة يملكها الفرد دائماً وهي ليست ظاهرة مستمرة بل متقطعة تحدث في لحظات معينة وسياقات محددة وهي ليست طبيعية بأي حال بل محض بناء اجتماعي وتشكيلات خطابية على الرغم من زعمها الاستمرارية والخطية ويمكن في هذا السياق استصحاب التمييز الذي اقترحه مانويل كاستلز بين هوية إضفاء الشرعية التي تصوغها المؤسسات المسيطرة في المجتمع لتبسط نطاق سيطرتها على الفاعلين الاجتماعيين ولتبرر هذه السيطرة في أن واحد. وهوية المقاومة تلك التي ينتجها هؤلاء الفاعلين الذين يجدون أنفسهم مستبعدين بحكم منطق السيطرة، وتكمن هذه المقاومة في تشكيل كوميونات أو مجتمعات محلية كطريقة للتعامل مع ظروف القهر والتي لايمكن أن تحتل إلا بهذه الطريقة.(رشاد ، 1997م، ص). تجد الدراسة استصحاب الاقتراب المعتمد على فكرة "التمثلات" داعماً في هذا الصدد، تنبثق التمثلات الاجتماعية عن مسار إجرائي يستهدف عقلنه الواقع أو إعادة بناء هذا الواقع وفق إطار نظام رمزي، او هي انماط معرفية مصاغة ومتقاسمة اجتماعياً تحمل رؤية ملموسة تسعى لبناء واقع او حقيقة خاصة بمجموعة محددة، حسب " اميل دوركايم "فإن المصطلح يؤشر إلى جملة منظمة، صيغة حركية تتضمن المواقف والمعلومات التي تتبناها جماعة او مجموعة اجتماعية ما (عبد الحميد كنش) "سرج موسكوفسكي" كان قد اقترح تصوراً أكثر تفصيلاً للمصطلح على أساس أن له مكونات ثلاثة "مكون معرفي" مجموعة المعارف والمعلومات المكتسبة حول الموضوع وجزء من هذه المعارف عبارة عن أفكار نمطية و"مكون موقفي" جانب معياري من التمثل ويعبر عنه من خلال استجابة عاطفية وانفعالية تجاه الموضوع و"مكون بنيوي" الآراء والمعارف والاتجاهات المتعلقة بالموضوع. قد يكون مسألة اجتماعية ما او جماعة إثنية. والتي تنتظم في ما بينها بحيث تشكل انتشاراً وعمقاً ورمزية.(أمين، 2013م، ص). تأسيساً على الاقتراح السابق يمكن ان نستنتج أن تمثلات الهوية هي الصورة التي تكونها جماعة ما عن ذاتها ويستبطنها أفرادها بإظهار خصوصيات مميزة عن باقي الجماعات. قد تكون لغة، أصل سلالي او غيرها. في حركات انخراط للدخل وحركات لتأكيد الاختلاف نحو الخارج.(كوشي، 2013م، ص).

التمثلات الاجتماعية للهوية لا تتم بواسطة المظاهر الموضوعية المحيطة بالفرد أو المجموعة بل بالطريقة التي يتصورون بها المحيط وما يمنحونه إياه من دلالات. الممارسات. نعني هنا تحديداً الممارسات المتعلقة بالمجال الإقاماتي أو السكني. ستكون محكومة بتلك التمثلات. تمثلاتهم للمدينة التي تتحكم بممارساتهم تجاه المدينة وهي الممارسات التي ستعيد إنتاج تمثلاتهم لذواتهم، التمثلات تقود وتحدد الممارسات كما ان هذه الأخيرة قد تغير مسار ومضامين الأولى. من شأن هذا الاقتراب الكشف عن الأهمية الحاسمة للمجال الاجتماعي كحقل. بالمعنى الذي منحه "بيير بورديو" لمفهوم الحقل. (شوفالبيه، 2013م، ص.). تتم فيه عملية التفاعل بين الأفراد ومحيطهم الاجتماعي. وهو ما يوفر فرصاً أفضل للاقتراب من فهم الكيفيات التي تنتظم هويات المجموعات النازحة حولها وكيف أن تلك التمثلات قد عرفت تحولات ومتغيرات نتيجة وفودهم الى المدينة.

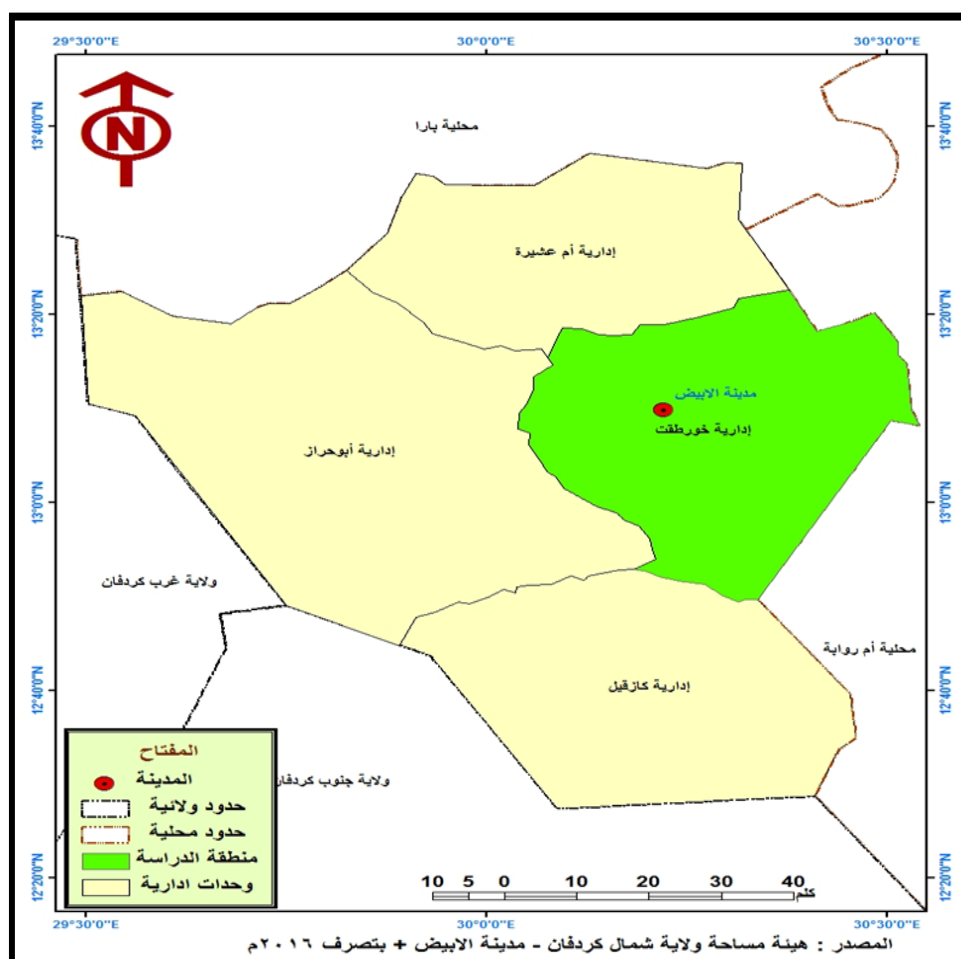
في اطار نظرتها للهوية كصيرورة أو بناء خاضع للتحويل المستمر تعتقد الدراسة بإمكانية الإفادة من نظرية الهوية الاجتماعية لـ"تاجفيل وتيرنر" التي تقترح منذ العام 1979م انه لدينا الى جانب هويتنا الشخصية هوية اجتماعية تشمل معرفتنا لانتمائنا إلى مجموعة إجتماعية محددة إضافة الى القيمة والدلالة الرمزية التي يتم تحميلها لهذا الإنتماء. خلال هذه العملية فاننا نعمل على تصنيف انفسنا وتصنيف الآخرين، هذه العملية بناء على "تاجفيل وتيرنر" هي العملية التي تمكن الذات من تنظيم محيطها، كما تتيح لها تحديد موقعها في النسيج الاجتماعي، النظرية تفسر كيف تستمد الذات معناها من خلال السياق الاجتماعي الذي تحدثه العلاقات بين الجماعات.

في حالة النزوح الحضري يسعى الأفراد إلى التكيف مع هذه الحالة عن طريق مجموعة من استراتيجيات الهوية الاجتماعية التي يشتغل بعضها على المستوى الفردي وبعضها الآخر على المستوى الاجتماعي بحيث تضعف الهوية الفردية وينتقل الأفراد بعلاقاتهم من مستوى ما بين الافراد الى مستوى ما بين الجماعات. (امين، 2013م، ص.). ان مجرد الوعي بوجود جماعة معارضة لأخرى قد يكون كافياً تحت شروط معينة لإحداث عملية التمييز والمنافسة، المهم لأغراض الدراسة هو ان عملية تصنيف الذات هي عملية دينامية تتحدد بعلاقات المقارنة داخل السياق، مبدأ "ما وراء التضاد" يشير الى ذلك بافتراض انه لكي يتأكد شكل أو هيئة المجموعات يجب ان تكون أوجه الاختلافات بينها اكبر من أوجه الاختلافات داخلها. تشاطر الدراسة "احمد زايد" تشديده على الطابع المتغير للتصنيف واعتماده الكلي على السياق فالأفراد الذين يصنفون ويدركون على أنهم مختلفون في سياق ما، يمكن أن يعاد تصنيفهم كأفراد متشابهين في سياق آخر من دون أي تغيير حقيقي في أوضاعهم. (زايد، 2006م، ص.). من شأن هذه الملاحظة منحنا القدرة على التفكير في إشكال التصنيف الذاتي

الخاصة بالنازحين كاستراتيجيات لمواجهة اللامساواة والتمييز الذي يتعرضون له، في ظل مصادرة مجموعة الأغلبية للمجال العام، استعادتهم لذاكرتهم الجماعية وإحاحهم على ذاتهم المتفردة ما هي إلا ميكانيزم دفاعي لتجاوز احساسهم بالحرمان.

7- الموقع الفلكي والجغرافي لمنطقة البحث :

تقع مدينة الأبيض بين خطي طول 20, 9, 30 – 20, 19, 30 شرقاً , ودائرتي عرض 40, 13, 17, 13 درجة شمالاً . أما جغرافياً فتقع في محلية شيكان ادرية خور طقت, تحدها من الشرق محلية أم روابة ومن الشمال محلية بارا بينما تحدها غرباً ولاية غرب كردفان وجنوباً ولاية جنوب كردفان.
خريطة رقم (1) موقع منطقة البحث.

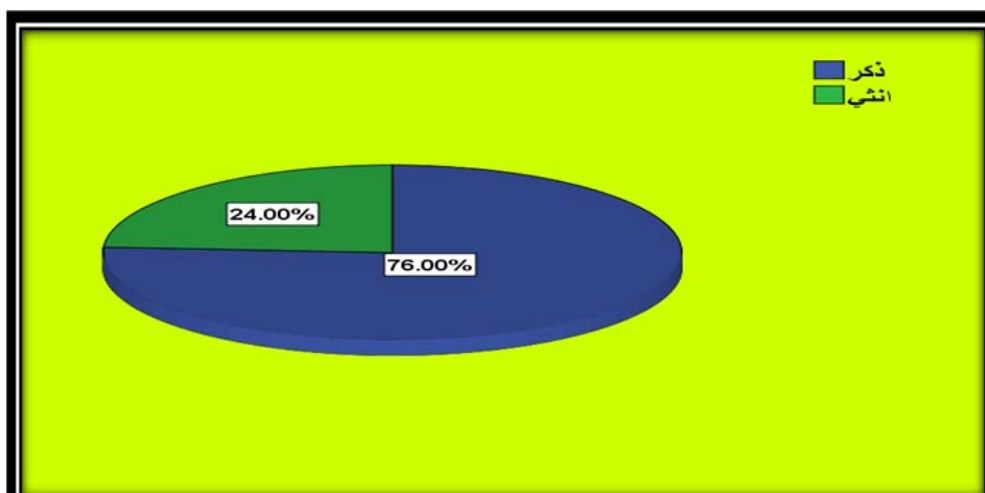


8 – المساحة بمنطقة البحث :

تشغل مساحة قدرها (100.5) كلم , وتبعد مسافة (588) كيلومتر جنوب غرب الخرطوم. (مجلس التخطيط الاستراتيجي , الأبيض 2017م) .

9 – نتائج الدراسة الميدانية :

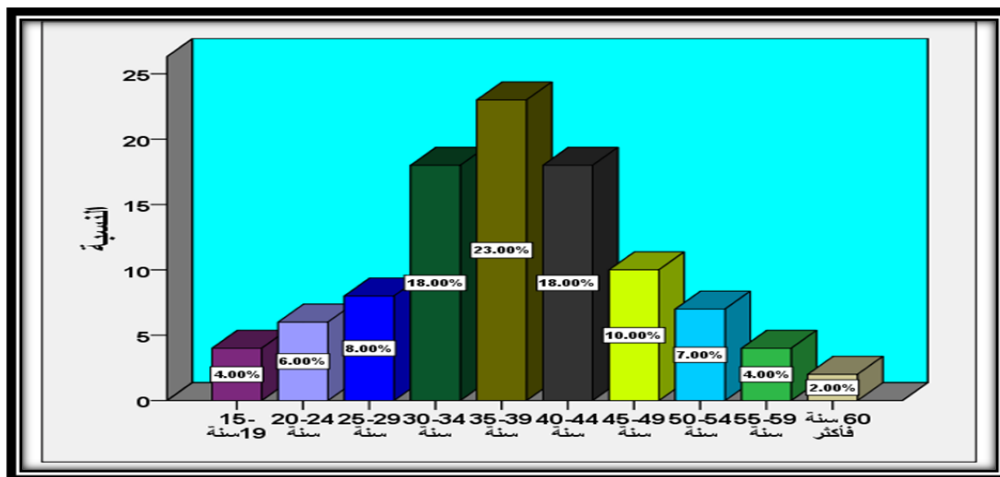
الشكل (1): التركيب النوعي حسب افادة افراد مجتمع الدراسة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يتضح من الشكل رقم (1): أن نسبة الذكور في مجتمع الدراسة اعلي من نسبة الاناث وقد بلغت (76%) ، حيث بلغت نسبة الاناث (24%).

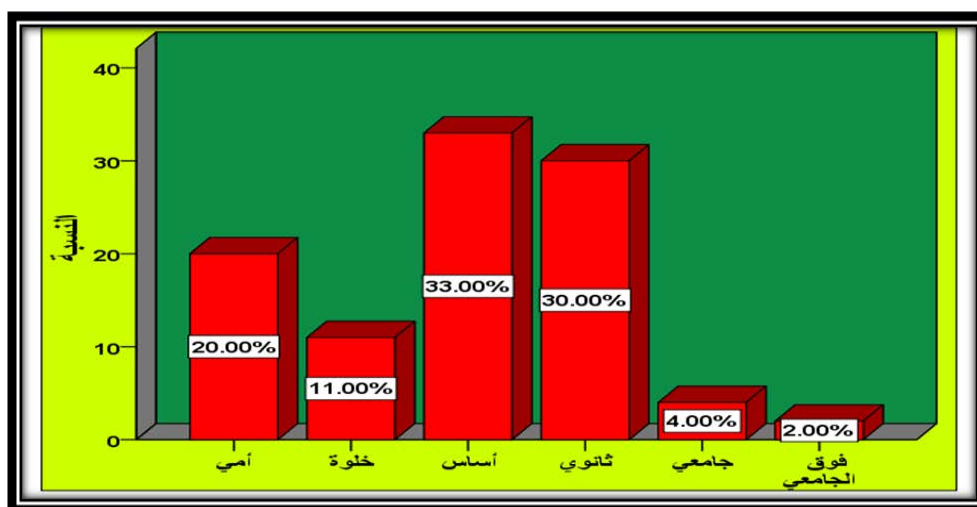
الشكل (2): تركيب العمري حسب افادة افراد مجتمع الدراسة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يتضح من الشكل (2) أن معظم الوافدين الى مدينة الابيض هم من فئة الذكور الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 30 و50 سنة حيث بلغت نسبتهم (69%) اذن فئة الشباب هي التي تطمح في تحسين مستواها الاجتماعي والاقتصادي نظرا للمسؤوليات الاجتماعية التي تتولاها في هذه المرحلة العمرية لذا فانها الاكثر حركية وهجرة، اما الفئة أقل من 30 سنة فتمثل نحو (18%) أما نسبة كبار السن 51 سنة فأكثر تمثل أقل الفئات العمرية وسط النازحين الى مدينة الابيض بنسبة (13%) من جملة النازحين الى مدينة الابيض وترتبط هذه الاعداد بتاريخ الوفود الى المدينة. حيث أن اكبر الهجرات الى المدينة هي الهجرات خلال العامين 2003 وبعد العام 2007م. كما ان إرتفاع نسبة الشباب في سن العمل وسط النازحين يفسر الاجهاد الذي تتعرض له العلاقة بين النازحين والمجتمعات الحضرية بسبب التنافس حول فرص العمل. الشكل رقم (2).

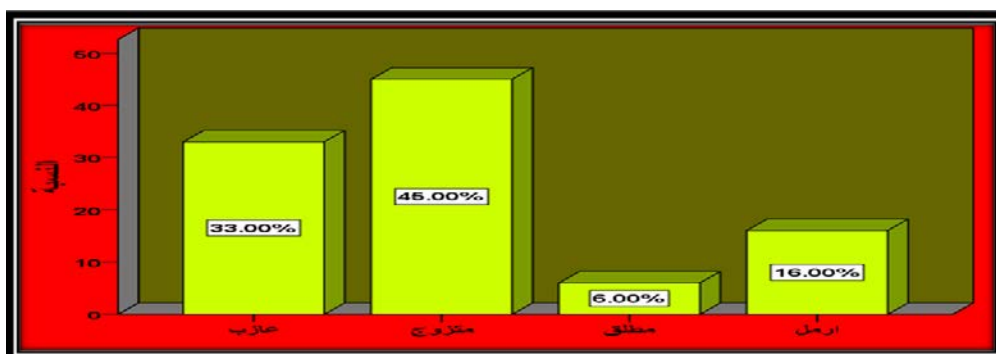
الشكل (3): المستوى التعليمي حسب إفادة أفراد مجتمع الدراسة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

من الشكل (3) المستوى التعليمي للنازحين إلى مدينة الأبيض نلاحظ ارتفاع نسبة الأمية والتعليم الديني وسط فئات كبيرة من النازحين إلى مدينة الأبيض بنسبة (31%) مقابل انخفاض نسبة التعليم الجامعي وفوق الجامعي (6%) أما الذين تلقوا تعليماً علي مستوي الأساس والثانوي يمثلون نحو (63%) من جملة النازحين إلى المدينة، بسبب من ارتفاع نسبة الأمية و انخفاض مستويات التعليم لدى النازحين فهم غير مؤهلين للانخراط في شبكة الوظائف والمهن التي توفرها المدينة وهذا الأمر يجعل القطاع غير الرسمي المصدر الوحيد لفرص توليد الدخل، لكن ارتفاع حدة التنافس على العمل أدى إلى انخفاض الأجور وزيادة الأجواء الاستغلالية إزاء العمال، بما ان معظم المخدمين في هذا القطاع هم من مجموعات اثنية مختلفة عن مجموعات النازحين يعاد تفسير الإستغلال في العمل لا على نحو اقتصادي بل بوصفه هيمنة من الآخر على "نحن" الإثنية.

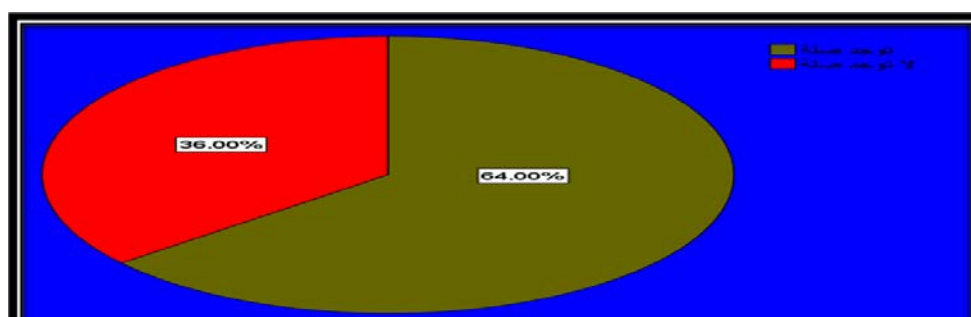
الشكل (4): الحالة الزوجية بمنطقة الدراسة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

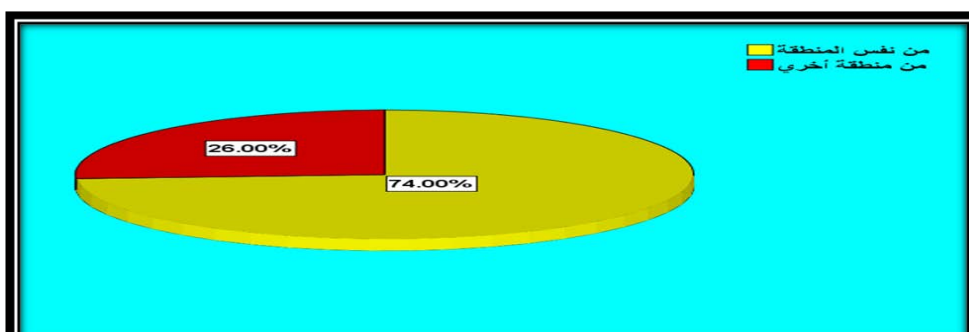
وهذا يتناسب مع المرحلة العمرية التي ينتمون لها، أي أن لهم مسؤوليات اجتماعية تجاه أسرهم وهذا ما يمكن أن يشكل باعثاً للانتقال والبحث عن فرص أكبر لتلبية حاجيات أسرهم المتنوعة خاصة مع الظروف التي فرضتها الحرب في مناطقهم الأصلية وقد بلغت نسبتهم حوالي (45%) كما نلاحظ أيضاً إرتفاع نسبة الأرمال (16%) بسبب الحرب أما النسبة المتبقية فكانت لغير المتزوجين وقد وصلت إلى (33%).

الشكل (5): صلة الزوجة بالزوج



المصدر: العمل الميداني 2018 م

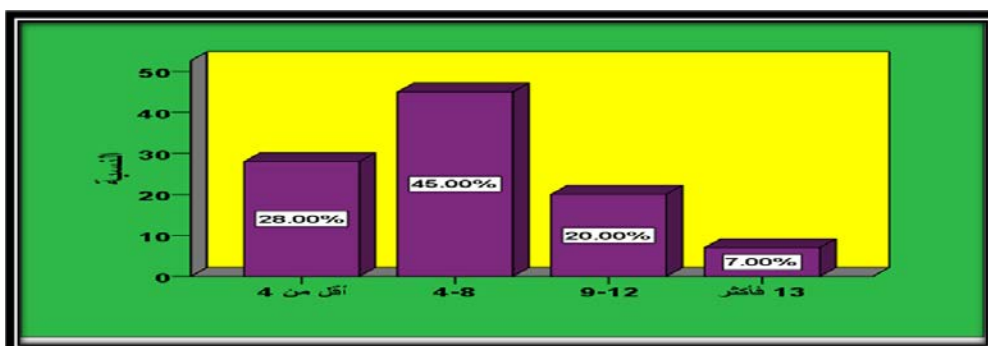
الشكل (6): المنطقة الأصلية الزوج/ الزوجة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يتضح من الشكل (6) بأن (74%) من أفراد مجتمع الدراسة المتزوجين لهم صلات اجتماعية بزواجهم / أزواجهم وهي في الغالب إما صلات إثنية أو صلات مكانية، من خلال الشكل (5) يلاحظ ان معظم زوجات او أزواج الوافدين هم من المناطق الأصلية بنسبة (64%) بينما (36%) فقط كانت زوجاتهم / أزواجهم هم من مناطق أخرى ، تشير هذه النتائج إلي شدة ارتباط أفراد مجتمع الدراسة بمناطقهم الأصلية ومجموعاتهم الإثنية فهذه النتائج توضح ان الوافدين لم يؤسسوا لعلاقات أولية (نسب) داخل مجتمع المدينة على الرغم من إقامة أكثر من نصفهم في المدينة لمدة تمتد لأكثر من 15 عاماً.

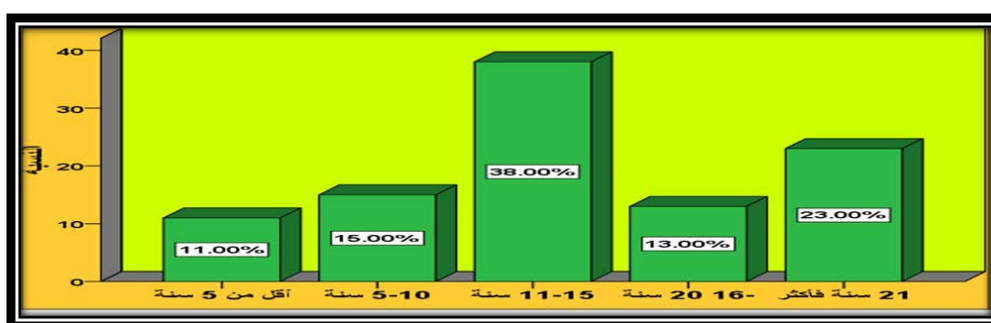
الشكل (7): عدد افراد الاسرة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

تشير نتائج الدراسة الميدانية من الشكل (7) الى ارتفاع متوسط حجم الأسرة وسط أفراد مجتمع الدراسة شأنه في ذلك شأن العديد من المجتمعات الريفية حيث نجد أن (65%) من أفراد مجتمع الدراسة يتراوح حجم الأسرة بين 4 الى 12 مما يؤكد ارتباط الوافدين إلى مدينة الأبيض بخلفياتهم الاجتماعية التي تتميز بارتفاع متوسط حجم الاسرة نظراً لاعتماد اقتصاديات ما قبل النزوح علي نظم الاقتصاد الاولي المتمثل في الزراعة التقليدية والرعي التقليدي والذي تعتمد عمليات الانتاج فيها علي وسائل تقليدية و يرتبط الانتاج بعدد أفراد الاسرة.

الشكل (8): تاريخ النزوح الي المدينة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

الشكل (8) يوضح أن معظم افراد العينة قد امتدت اقامتهم من 11 الي 15 سنة، وتمثل نسبتهم (38%). اما البقية فقد تراوحت فترات إقامتهم بين العام والعشرة أعوام بلغت بنسبة (26%)، عليه يمكن تصنيف النازحين بانهم من الجيل الاول من النازحين فهم حديثي الإقامة في المدينة وتتميز هذه المرحلة من الإقامة بصعوبات كبيرة في الاندماج كما ان هوياتهم الاصلية بكل مكوناتها لا تزال تمارس تأثيراً قويا في علاقاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية. واذا كانت المجموعات الاولى من النازحين إختارت التوطن في هذه الأحياء الطرفية بسبب عزلتها النسبية فإن كثير من النازحين الذين وفدوا إلى المدينة متأخرين إختاروا التوطن ضمن هذه التجمعات /الأحياء بسبب وجود نازحين من مناطقهم الأصلية أو مجموعتهم الإثنية واللغوية.

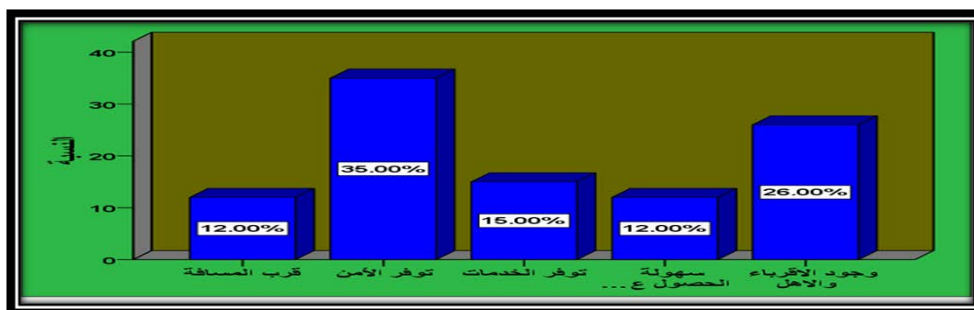
الجدول(1): اسباب النزوح الي المدينة

النسبة	العدد	السبب
45%	45	الحرب
20%	20	البحث عن عمل
13%	13	خدمات التعليم و الصحة
10%	10	الجفاف
12%	12	كل ما ذكر
100%	100	المجموع

المصدر: العمل الميداني 2018 م

تشير نتائج الدراسة الميدانية من الجدول (1) إلى أن الأسباب الرئيسية للنزوح إلى مدينة الأبيض تتمثل في الحرب بنسبة (45%) وهو السبب الذي يدفع بالكثير من النازحين إلى تفضيل السكن في مجموعات متجاورة طلباً للحماية، كما يدفع المدينة إلى اتخاذ موقف عدائي تجاههم على أساس الارتباط المتصور لمجموعات النازحين بالحركات المسلحة الخارجة عن سلطة القانون والدولة علماً بأن ذلك الارتباط لا يبنى تصوره إلا على أساس تركيبهم الإثنية. كما تؤكد إفادة (20%) من مجتمع الدراسة بأن هجرتهم كانت مدفوعة بالبحث عن فرص عمل. إن من الصعب في سياق كالسياق السوداني التفرقة بين الأسباب الاقتصادية للنزوح وتلك المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالحرب والعنف وانتهاكات حقوق الإنسان .

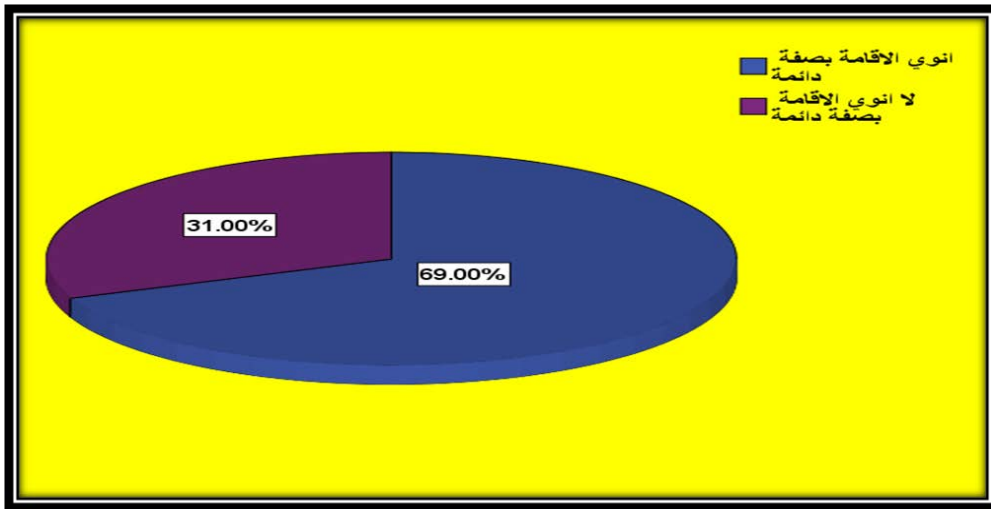
الشكل (9): اسباب إختيار مدينة الابيض



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يشير الشكل (9) الي أسباب إختيار النازحين الي مدينة الابيض ونجد أن أهم أسباب الإختيار ترجع الي وجود الاهل والاقرباء وتوفر الامن بنسبة(61%) علي التوالي وهذا مايؤكد ما أفترضته الورقة علي أن الكثير من النازحين سيختارون هذه المدينة وذات الاحياء بسبب وجود الاهل والاقارب وبما أن الكثير من أسباب النزوح الي المدينة كانت من مناطق تعاني من الحروب والنزاع كما أشارت الجداول السابقة فإن الحاجة الي الأمن شكلت أحد أهم أسباب النزوح الي المدينة ودفعت بالعديد من النازحين صوب اعادة انتاج هوياتهم الإجتماعية.

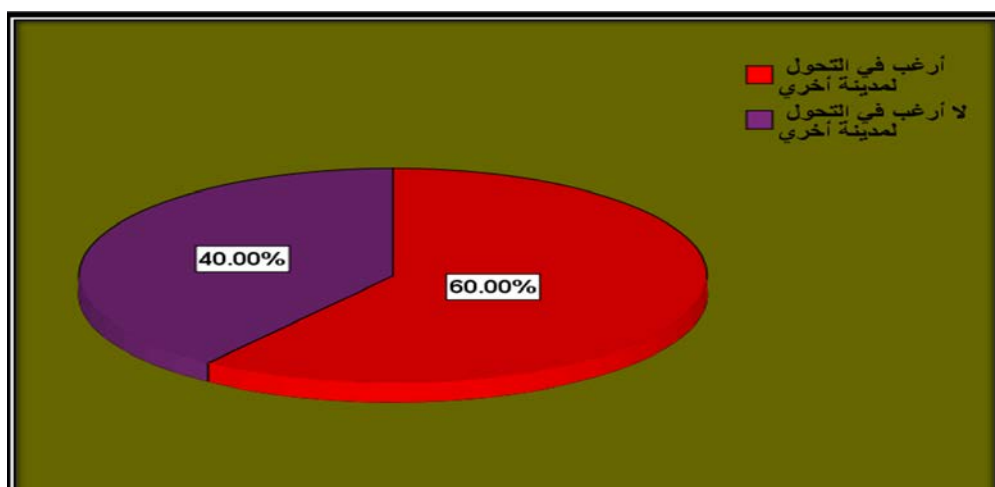
الشكل (10): الإقامة بمدينة الأبيض



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يشير الشكل (10) الي أن (69%) من أفراد مجتمع الدراسة فقط هم من لديهم الرغبة في الإقامة بالمدينة بصفة دائمة وهم في الغالب يمثلون النازحين الاوائل الذين إستطاعوا إبتداع تنويعا مختلفة من الميكانزمات للمواءمة بين هوياتهم الذاتية والشروط التي تفرضها الحضرة في مقابل (31%) من أفراد مجتمع الدراسة ليس لديهم الرغبة في الاستقرار في المدينة بصفة دائمة وهم يمثلون النازحين الذين وفدوا مؤخرا الي المدينة ويرفضون التماهي مع المجموعات التي طبعت المجال الحضري بهويتها .

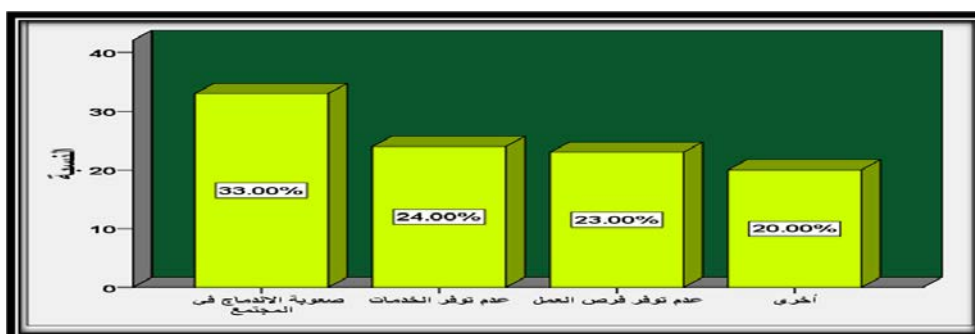
الشكل (11): الرغبة في التحول عن مدينة الأبيض



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يؤكد الشكل (11) أن 60% من أفراد مجتمع الدراسة يرغبون في الانتقال لمستقرات حضرية أخرى الأمر الذي يؤكد صعوبة قدرتهم في الاندماج في مجتمع المدينة علي الرغم من العديد منهم تجاوزت مدة بقائهم بالمدينة العقد من الزمان

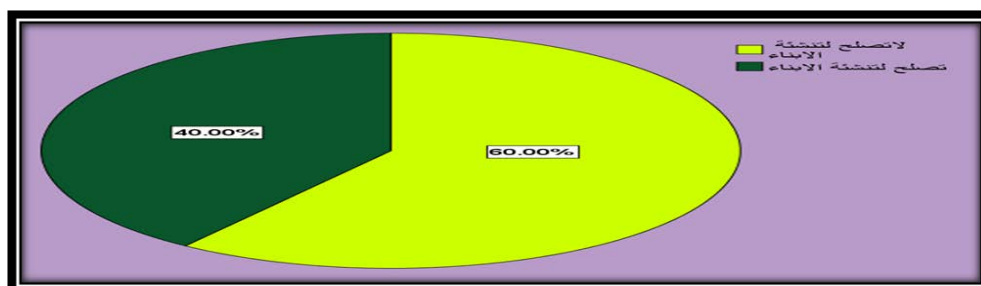
الشكل (12): أسباب التحول من المدينة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يشير الشكل (12) نصف افراد مجتمع الدراسة الي أن السبب وراء رغبتهم في الانتقال الي مجال عمراني مغاير يرجع بصفة أساسية الي عدم قدرتهم في الإندماج مع المجال الحضري الجديد وبلغت نسبتهم (33%) إذ أن الغالبية من النازحين هم من مناطق ريفية بينما تمثل العوامل الأخرى من نقص الخدمات وعدم توفر فرص العمل النصف الآخر من أسباب الانتقال لمدينة أخرى.

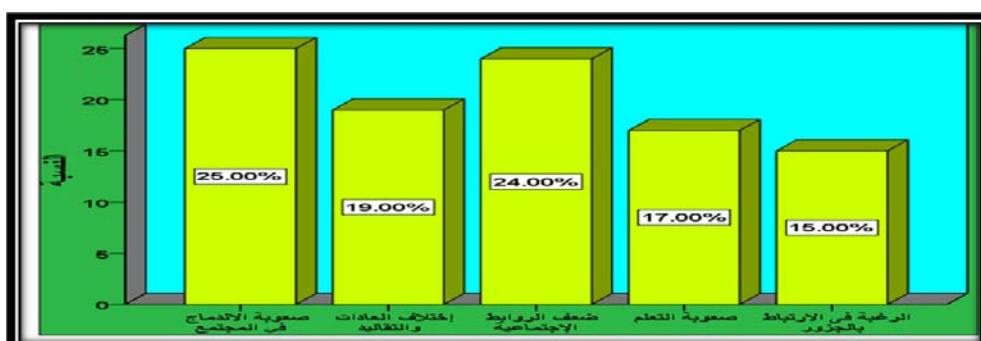
الشكل (13): صلاحية المدينة لتنشئة الابناء



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يتضح من الشكل (13) نسبة (60%) من أفراد مجتمع الدراسة الي أن مدينة الأبيض لا تعد بالنسبة اليهم مجال اجتماعي يصلح لتنشئة الابناء، بينما (40%) من النازحين يرون ان المدينة تصلح لتنشئة أبناءهم، ثمة ملاحظة هنا يجب التوقف عندها وهي ان النسبة الأخيرة تتمثل في معظمها افادات الجيل الأول من النازحين الي المدينة والذين استطاعوا تحقيق قدر من التأقلم مع البيئة الحضرية، وبسبب اقامتهم الطويلة في المدينة باتوا اقل يقيناً بشأن قدرتهم على العودة الي مناطقهم الأصلية.

الشكل (14): أسباب عدم صلاحية المدينة لتنشئة الابناء



المصدر: العمل الميداني 2018 م

تشير الشكل (14) الى العديد من اسباب عدم صلاحية مدينة الابيض لتنشئة أبناء النازحين حسب إفادة أفراد مجتمع الدراسة في محصلتها النهائية الى معاناة النازحين الى مدينة الابيض في التكيف مع هويات المجال العمراني والاندماج الاجتماعي حيث يشير (25%) منهم الى أن السبب يعود الى صعوبة الاندماج في المجتمع بينما يشير (19%) الى إختلاف العادات والتقاليد و (24%) الى ضعف الروابط الاجتماعية اما (15%) فقد أرجعوا السبب الى الرغبة في الارتباط بالجنود.

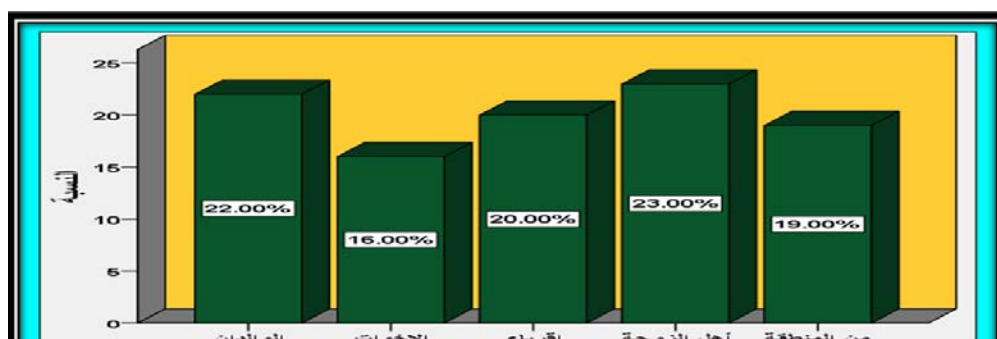
جدول (2): طريقة الإقامة بالمنزل

المتغيرات		النزوح قبل		النزوح بعد	
		النسبة	العدد	النسبة	العدد
اشخاص معي يقيم		65%	65	80%	80
اشخاص معي يقيم لا		35%	35	20%	20
المجموع		100%	100	100%	100

المصدر: العمل الميداني 2018 م

يتضح من الجدول (2) ان معظم افراد العينة لا يقيمون في منزل مستقل قبل وبعد النزوح الى مدينة الابيض بنسبة (65%) و (80%) علي التوالي ويعكس هذا الواقع إصرار النازحين على صيانة هياكلهم الاجتماعية من خلال الإستمرار في نظام الاسرة الممتدة وعدم التحول الي نظام الاسرة النووية ، ان مسألة تعايش اسر مركبة ضمن ذات المسكن ليس مسألة اختيارية فري هنا نوع من التعاضد لتسيير أزمة السكن عبر إعادة تركيب الروابط التقليدية وملئتها مع الشروط الجديدة، تتمفصل هنا الروابط الأسرية والقربانية مع الشروط الإقتصادية التي انتجها/ينتجها النزوح .

الشكل (15): نوع العلاقة بالمقيمين بعد الوفود



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يتضح من الشكل (15) ان جميع المقيمين مع افراد العينة هم من محيط الاسرة ، وهذا مؤشر على محدودية علاقاتهم الاجتماعية وانغلاقهم وتمسكهم بثقافتهم المحلية فالمجالات الاجتماعية التي يتفاعلون فيها لم تخرج عن المألوف الذي يتمثل في الاسرة كما يؤكد الرغبة الكبيرة في المحافظة علي نسق الأسرة الممتدة الذي يعمل بمثابة وسيلة لضمان حماية ومساعدة غير القادرين .ويخفف من الشعور بحالة الإغتراب، سياسات المسكن التي يلجأ اليها النازحين والمتفصلة مع التدرجات الاقتصادية تخفف كثيراً من فعالية الأليات الحضرية التي يفترض بها نظرياً اذابة او التخفيف من الروابط الانثوقافية وإعادة تركيب محيط الفرد الاجتماعي.

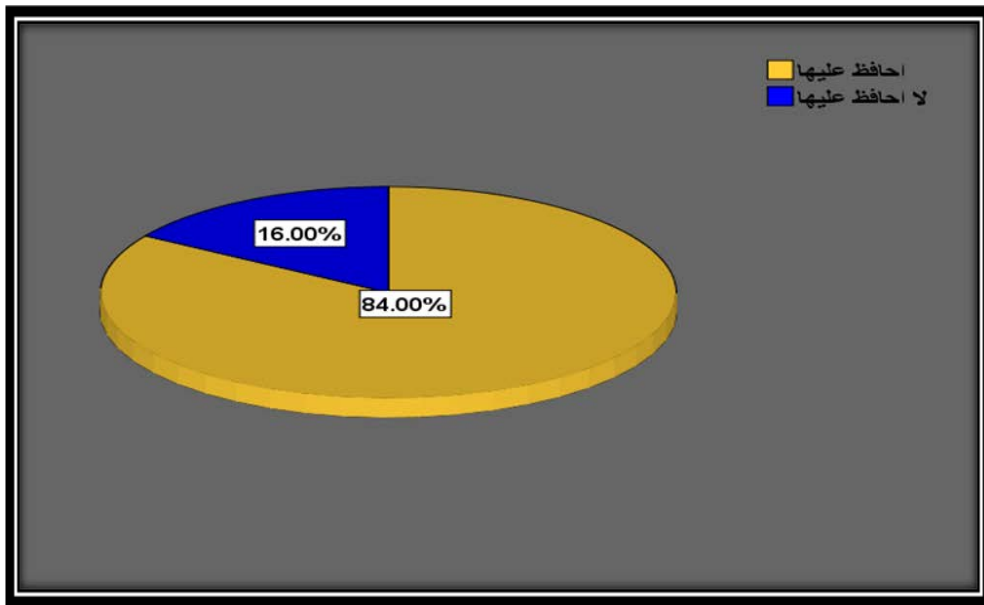
الشكل (16): نوع العلاقات الاجتماعية



المصدر: العمل الميداني 2018 م

تشير نتائج الدراسة الميدانية من الشكل (16) الي أن معظم أفراد العينة قد اكتفوا بعلاقات الجوار مع ابناء الحي الذين يمثلون في الأصل أبناء المنطقة وقد كانت نسبتهم (70%) ، في حين كانت نسبة الزمالة ب (20%) بينما علاقات الصداقة هي الاقل بنسبة (10%) عليه فان علاقات هؤلاء تخضع لإعتبارات مرتبطة بتأكيد التمسك بالهوية الاجتماعية اكثر من كونها تهدف الى الاندماج في مجتمع المدينة فهي تعكس تفاعلات محدودة التأثير على هوية النازحين.

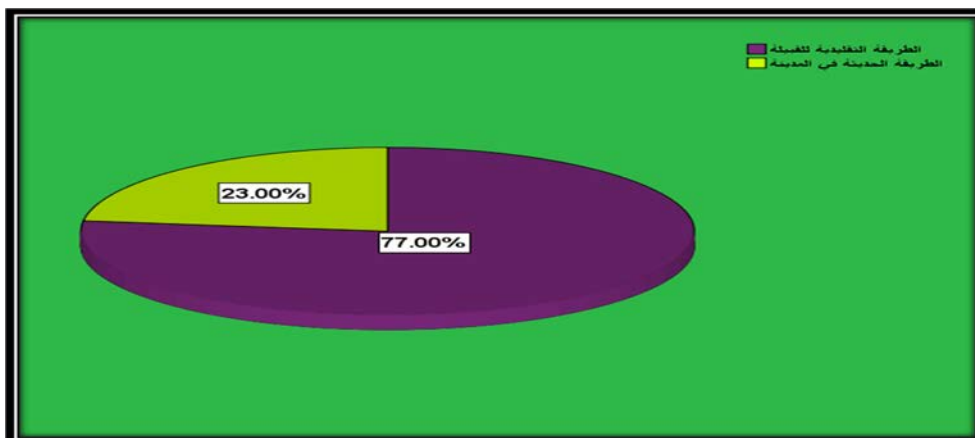
الشكل (17): المحافظة علي الممارسات الاجتماعية في الزواج



المصدر: العمل الميداني 2018 م

تشير نتائج الدراسة الميدانية من الشكل (17) أن (84%) من أفراد العينة يحافظون علي الممارسات الاجتماعية في المناسبات المختلفة مما يشير الي تمسك النازحين بهوياتهم الاجتماعية وعدم الرغبة في الاندماج في المجال العمراني الجديد بينما (16%) لا يهتمون كثيرا بالمحافظة علي الطقوس والعادات والتقاليد في المناسبات الاجتماعية مما يشير الي اندماجهم في مجتمع المدينة.

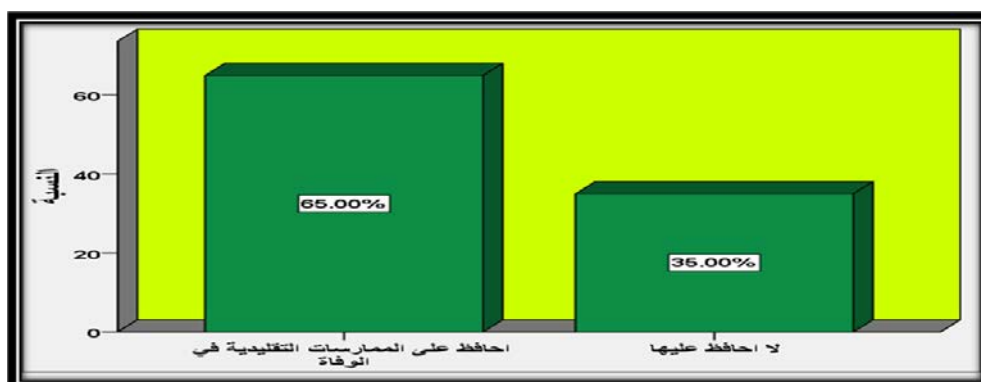
الشكل (18): طريقة زواج الابناء



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يشير الشكل (18) (77%) من أفراد العينة إلى أنهم يحرصون على إقامة المناسبات الاجتماعية المختلفة وبصفة خاصة الزواج وفق الطقوس الخاصة بمجتمعهم المحلي كما يؤكدون على المحافظة على هذه الطقوس ونقلها وتوريثها للأجيال القادمة كبراً عن كبر كل ذلك يشير إلى حرص النازحين على التمسك بهوياتهم الاجتماعية ونقلها لابنائهم في مقابل (23%) فقط هم من يرون أنهم لا يتمسكون بالطقوس الخاصة بهم في مناسباتهم الاجتماعية وهم في الغالب يشكلون طلائع النازحين إلى المدينة.

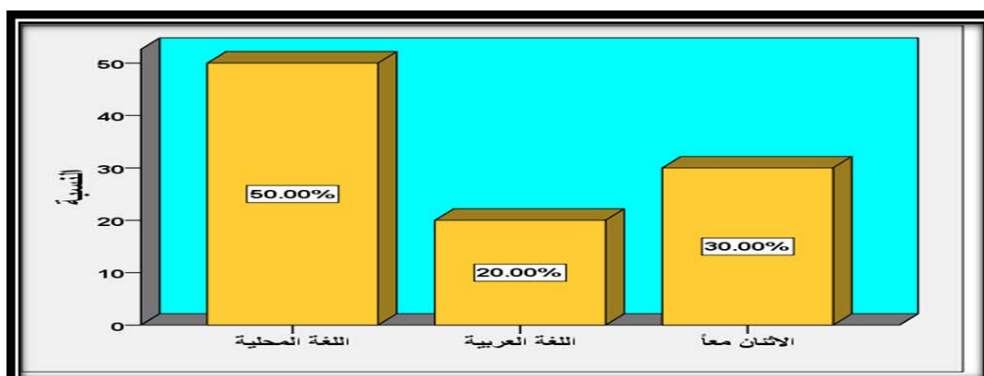
الشكل (19): الممارسات التقليدية في الوفاة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يؤكد الشكل (19) والخاص بالمحافظة علي الممارسات والطقوس الخاصة بالمجموعة المحلية حيث يصر (65%) من أفراد العينة علي ممارسة الطقوس المحلية الخاصة بالوفاة مما يؤكد حرصهم علي تمسكهم بهوياتهم الاجتماعية ويرجع إنخفاض هذه النسبة في الوفاة عن سابقتها في الزواج الي التشابه في العديد من الممارسات الخاصة بالوفاة مع الممارسات الخاصة بالمدينة والتي يشكل الدين الإسلامي المرجعية فيها.

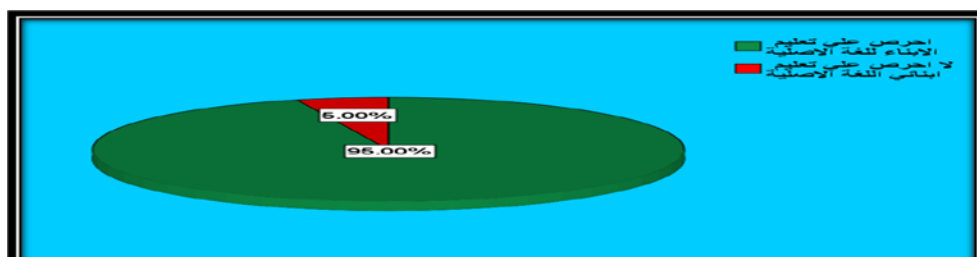
الشكل (20): إستخدام اللغة المحلية للمجموعة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

تشير نتائج الدراسة الميدانية من الشكل (20) الي الإصرار الكبير وسط قطاع عريض من النازحين الي مدينة الأبيض في التمسك بهوياتهم الاجتماعية وعدم الرغبة في الاندماج في مجتمع المدينة ويتجلي ذلك في إفادة (50%) من أفراد العينة في إستخدامهم للغة المحلية في التواصل، في مقابل (20%) فقط من أفراد العينة يستخدمون اللغة العربية في التواصل أما (30%) يستخدمون اللغتين معاً.

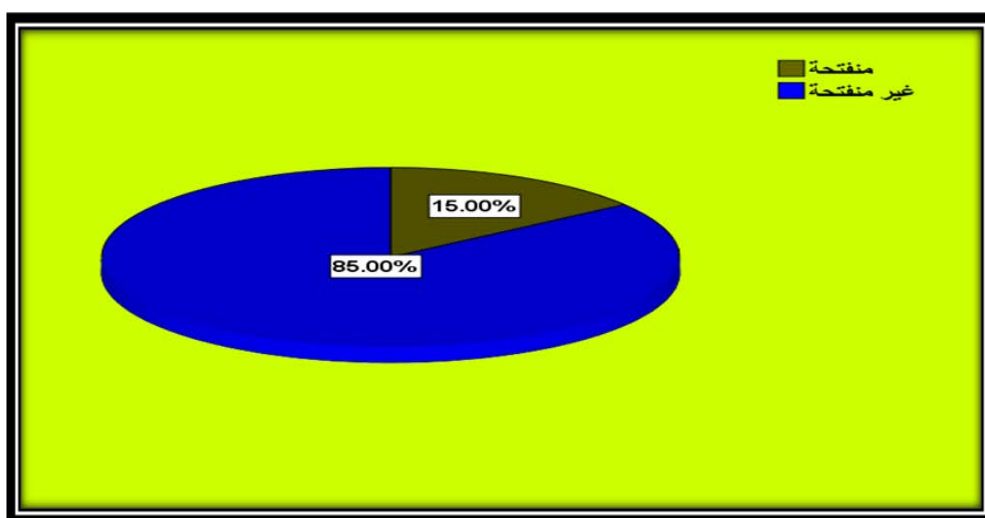
الشكل (21): تعليم الابناء اللغة الاصلية للمجموعة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

يشير الشكل (21) (95%) من أفراد العينة الي حرصهم علي تعليم أبناءهم اللغة المحلية حيث أفادوا الي ان اللغة التي يتم التعامل بها داخل المنزل هي اللغة المحلية مما يعني الرغبة الاكيدة في المحافظة علي الهوية الاجتماعية لافراد المجموعة ونقلها للأبناء، اللغة هنا تعمل بمثابة حامل للثقافة القائمة على التراث الشفاهي. بينما يشير(5%) فقط من أفراد العينة الي عدم حرصهم علي تعليم أبناءهم اللغة المحلية وهؤلاء يمثلون الجيل الثاني من النازحين الذين لم تعد اللغة حاجز للتواصل بينهم والمجموعات الاخرى.

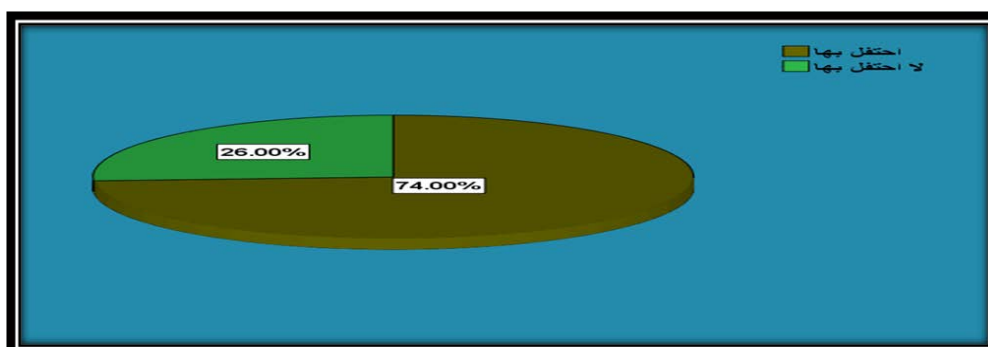
الشكل (22): طبيعة العلاقة مع المجموعات غير النازحة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

من خلال الشكل (22) يلاحظ ان العلاقات الاجتماعية للنازحين الي مدينة الأبيض تتسم بعدم الانفتاح تجاه الآخر حيث أشار (85%) من أفراد العينة بذلك بينما (15%) فقط أفادوا أنهم يتمتعون بعلاقات اجتماعية منفتحة تجاه الآخر هذه النتائج تؤثر على انغلاق النازحين ومحدودية علاقاتهم الاجتماعية مع أبناء المدينة واقتصارها على التعاملات اليومية الضرورية المتمثلة في علاقات تتسم بسطحيتها وعدم تجاوزها المعرفة العامة او الزمالة المهنية.

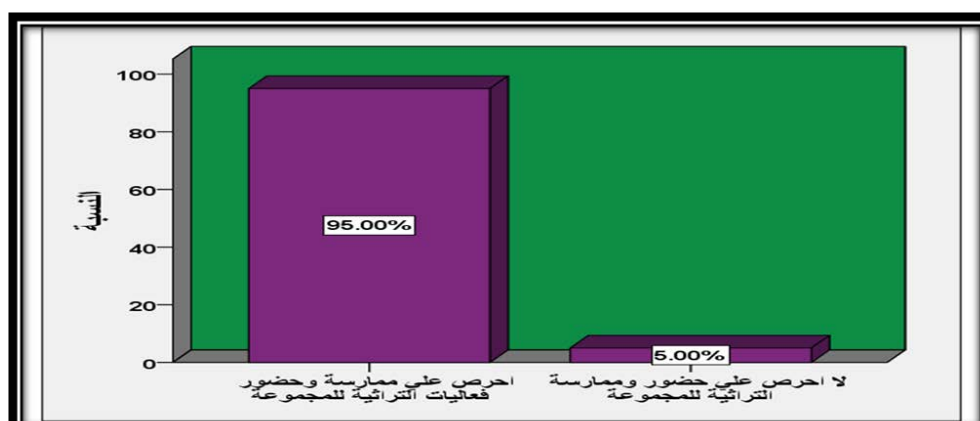
الشكل (23): الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية الخاصة بالمجموعة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

من خلال الشكل (23) يلاحظ أن الكثير من النازحين إلى مدينة الأبيض ظلوا محافظين علي إقامة الاحتفالات التي كانوا يقيمونها في المناسبات المختلفة قبل النزوح إلى مدينة الأبيض حيث أشار (74%) من أفراد مجتمع الدراسة بذلك، وهي النتائج التي تتحرك ضمن تأكيد ذات المنعي الذي أظهرته الاشكال السابقة حول متمرس النازحين خلف هوياتهم الاجتماعية كأحد الميكانزمات للتكيف مع النزوح من خلال المحافظة علي الأنساق الإثنوثقافية للمجموعة .

الشكل (24): الاهتمام بممارسة و حضور الفعاليات التراثية للمجموعة



المصدر: العمل الميداني 2018 م

تشير نتائج الشكل (24) الي حرص النازحين الي مدينة الأبيض على إعادة إنتاج موروثهم الثقافي الذي يمثل تأكيداً على ذاتهم وتمسكها التي بلغت نسبة (95%). أما الذين لا يحرصون على حضور الممارسة التراثية بلغت نسبتهم (5%).

10- الخاتمة:

إذا كان السير في هذه الدراسة .يمكن اعتبارها دراسة استطلاعية. قد بدأ بتساؤل حول الكيفيات التي أعاد النازحون الحصريون من خلالها إعادة إنتاج هوياتهم الإثنوثقافية والاعتبارات التمثيلية التي تتحكم في علاقتهم بالمدينة ، فأن الجمع الإشكالي الذي اقترحته الدراسة بين المعطيات الثلاثة نزوح، هوية، حضرنة، والمسائل المتداخلة التي أثارها محاولة الاشتغال عليه في سياق مدينة" الأبيض "قد أنتج موضوعاً جديداً لم يكن من الممكن مقارنته بالنظر إلى كل من الثلاثي بشكل منفرد وانطوي على عدد لا حصر له من الأسئلة بما لا يتيح ربما للدراسة فرصة قول الكثير مما له معنى محدد بخصوص الحصيلة الإجمالية ، لذلك تكتفي الدراسة هنا بتسجيل استنتاجاتها الرئيسية التي كان بعضها قد برز بشكل صريح قبلاً في حين ظل البعض الآخر ضمناً.

من خلال نتائج الدراسة الميدانية يمكن تأكيد تميز مجتمع الدراسة بسيطرة الروابط السوسيوثقافية حيث ظلت علاقاتهم محكومة بحدود الحي كمجال متجانس وهيمنت علاقات الجوار على علاقاتهم الاجتماعية، فنسبة 70% من مجتمع الدراسة افادوا بأن علاقاتهم الرئيسية هي علاقات جوار، كما أن علاقاتهم ظلت حذرة تجاه من هم خارج دائرة الجوار حيث افاد 15% فقط أنهم يتمتعون بعلاقات اجتماعية منفتحة تجاه الآخرين خارج نطاق الحي .وهي النتائج التي تؤثر على عزلة النازحين ومحدودية علاقاتهم الاجتماعية، و تظهر استمرار التضامن والتعاقد القرابي سواء عبر مؤسسة الزواج وعلاقات المصاهرة الذي قد يكون مداه مقياساً لانغلاق الأنوات المكونة لمجتمع الدراسة، وعبر التشارك في مسكن واحد والذي وإن فرضته الشروط الاقتصادية كأسلوب للتعامل مع البيئة الحضرية لكنه انتهى إلى السيرة رهاناً اثنياً محولاً الحي إلى جغرافيا لترجمة الإستراتيجيات الهوياتية .

كانت الدراسة قد تساءلت حول الميكانيزمات التي أعادت عبرها المجموعات النازحة تكييف هياكلها الاجتماعية والأسرية بحيث تتلاءم مع سياق جديد ؟ في هذا الخصوص أظهرت النتائج استخدام مجتمع الدراسة تنويعاً مختلفة من الميكانيزمات للمحافظة علي الخصائص السوسيوثقافية للمجموعة سواء مر ذلك عبر تمسكهم باللغة الأصلية للمجموعة وحرصهم علي التحدث بها و تعليمها لأبنائهم، او من خلال المحافظة علي الممارسات الاجتماعية في المناسبات المختلفة .وبصفة خاصة الزواج .التي يحرصون على إقامتها وفق الطقوس الخاصة بمجتمعهم المحلي.

تقرأ الدراسة استعادتهم المستمرة لهويتهم وتمسكهم بذاكرتهم الجماعية وإعادة بناء الماضي ضمن الحاضر والـ"هناك" ضمن الـ"هنا" كاستراتيجية تكيف، وكمحاولة لتشكيل ملجأ يهربون اليه أمام الشعور بعدم قبولهم في المجتمع وأمام ظروفهم الإقتصادية وتعويضاً عن اغترابهم و بؤس حاضريهم . وهو ما كان من الممكن تجنبه لو أن المدينة لم تعجز عن تزويدهم بآليات بديلة للتكيف، لو لم تعجز عن خلق روابط وعلاقات اجتماعية مع المجموعات النازحة مبنية على تقوية شعور الانتماء للمجال المدني وخلق فرص لمساهمة الجميع في صناعة مجالهم. لو انها. أي المدينة. عرضت عليهم خياراً ثالثاً غير العزلة أو الذوبان.

إذا كانت جماعات الهوية تتصارع من أجل الاعتراف بها ضمن الفضاء العام، فيمكننا التفكير في ان حضور ذلك الاعتراف المؤسس للمجال العام كان من الممكن ان يفتح الباب أمام إنتاج هوية مدنية دون أن تكون بالضرورة متناقضة ومتنافرة مع الهويات الخاصة للمجموعات المختلفة. إن المطلوب الآن هو استعادة المدينة كمجال عمومي. بالنسبة للدراسة ليس من الممكن الحديث عن مدينة دون مجتمعيها المدني. جزأته النزعات العصبوية، في عملية إعادة بناء على مستوى المجتمع ومستوى المدينة معاً، تتطابق مع عملية تأهيل المدينة لجعلها مدينة المجموع وتأهيل الجماعة لجعلها جماعة مدنية متجاوزة للانقسامات الإثنو-عنصرية، عندئذٍ وعندئذٍ فقط قد يغادر النازحون معازلهم التي تفصلهم عن المدينة.

11- المراجع :

- اريكسن، توماس هايلاند (2012) العرقية والقومية ، وجهات نظر انثربولوجية، لاهاي عبد (الحسين) مترجم ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،، سلسلة عالم المعرفة.
- امين، عزام (2015) التكيف الاجتماعي والهويات العرقية لدى الشباب من اصول عربية مغربية في فرنسا، دورية عمران ، العدد ، 14 المجلد الرابع .
- اندرسون، بندكت (2014) الجماعات المتخيلة ، تأملات في اصول القومية وانتشارها، ثائر ديب (مترجم)، الدوحة المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.
- اوموت، اوزكيريمللي (2013) نظريات القومية ، مقدمة نقدية، معين الإمام) مترجم (، الدوحة المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات .
- بلقزيز، عبد الإله (2007) العرب والحداثة ، دراسة في مقالات الحداثيين ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- زايد، احمد (2012) سيكولوجيا العلاقات بين الجماعات ، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة.

- السقا، اباهر (2013) الهوية الاجتماعية الفلسطينية ، تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة، في التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية، ط (1 رام الله، المركز الفلسطيني لبحاث السياسات.مسارات .
- رشاد ، عبد الله الشامي (1997) إشكالية الهوية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت .
- شوفالييه ، ستيفان؛ وكريستيان شوفيري (2013) ، معجم بورديو ، الزهرة ابراهيم) مترجم)، دمشق، النايا للدراسات والنشر .
- صن، امارتيا (2008) الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي،) مترجم(. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب.
- غوتيريس، انطونيو (2010) تحديات حماية الاشخاص المعنيين في البيئات الحضرية، في نشرة الهجرة القسرية : التأقلم مع الزوج في البيئات الحضرية، مركز دراسات اللاجئين جامعة اكسفورد، العدد.34
- كوشي، ابتسام (2013) المضامين الثقافية للمجالات الاجتماعية وعلاقتها بتشكيل واعادة تشكيل هوية البطالين، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر .
- كوش، دينيس (2007) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، منير السعيداني) مترجم(. مركز دراسات الوحدة العربية/المنظمة العربية للترجمة.
- <http://nibras.akbarmontada.com/t344-topic> "http://nibras.akbarmontada.com/t344-topic"344HYPERLINK
- <http://nibras.akbarmontada.com/t344-topic> "http://nibras.akbarmontada.com/t344-topic"